جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ ⴱⴼⴰⵙ
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز- فاس

شعبة اللغة العربية وآدابها
مسلك الدراسات العربية

مطبوع وحدة
مناهج النقد الأدبي الحديث
الفصل الرابع

إعداد الأستاذ:
رضوان الخيـاطي

الموسم الجامعي
2018-2017

مقدمة

النقد في اللغة العربية: التمييز، نقول نقد الشي أي ميزه؛ فنقد الكتب يعني تمييزها، والنظر فيها لمعرفة جيدها من رديئها .

النقد الأدبي: يعتمد على فحص المؤلفات والمؤلفين القدماء أو المعاصرين، لتوضيحهم وشرحهم وتقديرهم ومعرفة القيمة الفكرية والجمالية للنصوص الأدبية.

الأدب هو مادة النقد يدرسه ويحلله ويفهمه مستعينا بالخبرات والتجارب والمعارف التي راكمها التفكير النقدي منذ القديم مستعينا بالعلوم والوسائل والأدوات المساعدة مثل (اللغة ، النحو، البلاغة، الصرف، علم الخطاب ...) وعلوم الأسباب (فلسفة، تاريخ علم النفس، الاجتماع...)

إن **فن النقد** قد نشأ منذ القدم ملازما لنشأة فنون الأدب الأخرى منذ أن أخذ الناس يتذوقون تلك الفنون ويتأثرون بها، ولم تستقر لهذا الفن مناهج وأصول ومبادئ ، ولم تتحدد له وظائف إلا بعد مرور وقت طويل على ظهور فنون الأدب الأخرى، وبعد نمو ملكة التفكير والتقعيد عند البشر

قبل القرن التاسع عشر كان الأدب والنقد يعدان فرعي شجرة معرفة واحدة؛ فالنقد الأدبي لم ينشأ كنوع مستقل إلا خلال القرن التاسع عشر، أما قبل هذا القرن فقد كان هناك نقاد ولم يكن هناك نقد، أي لم يكن النقد يعتمد منهجا محددا ولا يستند إلى نظرية نقدية.

النظرية: هي مجموعة من الأفكار المترابطة والمنسجمة التي تنطلق من فلسفة محددة، فتطرح مجموعة من الأسئلة تخص طبيعة الأدب ووظيفته وعلاقته بمبدعه، ومن جملة هذه الأسئلة:

- ما هي طبيعة الأدب ؟ و ما هي الخصوصيات التي تميزه عن الفنون و الإنتاجات الفكرية المغايرة ؟
- ما هي نوعية علاقته بمنتجه، أي المبدع وبالوسط الاجتماعي والبيئي والحضاري ؟ والمتلقي ؟
- ما هي وظيفة الأدب ضمن وظائف النشاط الإنساني عموما ؟

- ما هي القيم و الحاجات الجمالية المعبر عنها في نصوص أدبية بعينها بالنسبة لوسط اجتماعي وثقافي معين، ومرحلة تاريخية محددة ؟ أي علاقة المدونة الأدبية بما يرتبط بها وما يخرج عنها، سواء كانت العلاقة محاكاة أو تخيلا أو انعكاسا....

المنهج: هو حصول الرؤية المنسجمة والمتماسكة، والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها، وهو يروم معالجة القضايا الأدبية والإجابة عن الأسئلة التي تطرحها النظرية.

وغالبا ما يلتبس المنهج بالطريقة:

الطريقة: أما طرائق التحليل فهي الخطوات التي يتبعها الناقد في دراسة نص معين. هذه الخطوات يفرضها:

- نوع المنهج المتبع
- النوع الأدبي
- مزاج و فكر الناقد

إذا استخدم ناقد ما منهجا نفسانيا في تحليل نص أدبي فإن هذا المنهج يفرض عليه عامة تخصيص خطوة في التحليل يتحدث فيها عن العوامل اللاشعورية الفاعلة في النص مهما كان النوع الأدبي المدروس غير أن تحليل قصيدة شعرية من منظور هذا المنهج تفرض عليه خطوات إضافية معينة كالاهتمام بالموسيقى الشعرية والصور واللوحات، بينما يفرض نوع الرواية الإشارات الضرورية في إحدى خطوات التحليل للشخصيات وللأدوات الأساسية الفاعلة في الحدث، أما المسرح فيستدعي الاهتمام في خطوات خاصة بالتشخيص الدرامي و بالديكور و بردود أفعال الجمهور.

بدأ الالتفات إلى مناهج النقد مع نهضة العلوم الطبيعية في القرن 19، فقد ازدادت الاهتمامات بمعالجة الظواهر الأدبية نظرا لما حدث فيها من تغيرات اعترت المجتمع والبنية الثقافية في ذلك العصر، مما دفع الباحثين إلى الاستعانة بالمنهج الوضعي الذي ارتبط بظروف هذه المرحلة. ومن هؤلاء الباحثين نذكر: سانت بوف وهيبوليت طين وكوستاف لانسون Sainte-Beuve, Hippolyte

(Taine, Gustave Lanson)، هذا الأخير الذي يعد بحق مؤسس المنهج التاريخي لدراسة الأدب.

I. المنهج التاريخي

منهج نقدي يدرس النصوص الأدبية رابطا إياها بالحياة الخاصة لمؤلفيها وبالوسط الاجتماعي والبيئة والجنس والعصر الذي ينتمون إليه.

يعمد الناقد إلى جمع الوثائق حول الأدباء، أي الغوص في ماضيها قصد إجلاء المؤثرات التي حددت عملية الإبداع الأدبي.

وبدراستنا لبعض رواد هذا المنهج ستتضح لنا الصورة أفضل.

سانت بوف (CHARLES-AUGUSTIN SAINTE-BEUVE)

(1804-1864)

يفسر Sainte-Beuve الأعمال الأدبية انطلاقا من حياة المؤلفين معتبرا أن لنفسية المؤلف ولمزاجه أثر بالغ في انتاجه، فهو يعود إلى السجل التاريخي للكاتب فيجمع عددا كبيرا من الحكايات عنه، فتارة يبحث عن أصله، وفي أية ظروف نما حتى يجد عقدة شخصيته، وطورا يبعثه أمام أعيننا في فترة نضجه، وذلك بعدة تفاصيل حياتية معبرة.

يعمد سانت بوف إلى تطبيق قوانين مستنبطة من علم الأحياء على الأدب بدراسته لشخصيات الأدباء درسا نفسيا عضويا، فيرتبها على نحو ما يفعل علماء النبات في ترتيب الفصائل النباتية المختلفة، فيصنفها ليستخلص أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها يقول الناقد: " وإذا بحثت في طبائع العقول المختلفة ظهر أنها تنتمي إلى نماذج وأصول بعينها فمعرفة واحد من كبار المعاصرين تشرح لك وتبعث أمامك طبقة من الموتى، لما بينه وبينهم من تشابه واضح، ومن وجود بعض خصائص الأسرة الفكرية التي ينتمون جميعا إليها. وهذا مطابق لما في علم النبات بالنسبة للنباتات وما في علم الحيوان بالنسبة لأنواع الحيوانات، فهناك، إذن، تاريخ طبيعي للأسر الفكرية الطبيعية ".

ويتوخى هذا المنهج دراسة الأدب في ضوء التاريخ بروح نقدية تستنتج النتائج الدقيقة الفعالة، فهو لا يكتفي بمجرد سرد الأحداث التاريخية والأدبية، بل

يهدف إلى تقرير الحقائق ويتعرف على روح العصر والأدب ويبني أثر كل منهما في الآخر.

" فيما يخص النقد الأدبي، يبدو أنه لا يوجد ما هو أكثر أصالة ولذة وخصبا في تنوع المعلومات فيه -في وقت معا- من قراءة تراجم حياة عظماء الكتاب إذا أجيد تأليفها (...) يتقمص الناقد مؤلفه ويعيش فيه وينتجه في نواحيه المختلفة، فيجعله يحيا ويتكلم كما يجب أن يفعل، ويتبعه في كنه نفسه وفي عاداته في حياته السابقة على التأليف، ما استطاع، مع ربطه من كل جوانبه بهذه الأرض، بهذا الوجود الواقعي بهذه العادات اليومية التي لا يقل تأثر عظماء الناس بهذا عن تأثرنا نحن(...)

إن النقطة الجوهرية في حياة كاتب كبير أو شاعر عظيم هي فهم واحتواء تحليل هذا الرجل بأكمله في الوقت الذي تتسابق فيه عبقريته وموهبته وتربيته وثقافته والظروف المحيطة به، لتدفع به إلى إنتاج أول عمل أدبي له وإذا ما فهمت الشاعر من تلك اللحظة الحرجة ، واستطعت أن تحلل تلك العقدة التي سوف يرتبط بها ، منذ ذلك الوقت كل ما يدور في نفس الكاتب أو الشاعر، وإذا ما وجدت مفتاح كل الحلقة الغامضة التي تربط حياته الثانية المشعة البراقة".

هيبوليت طين(Hippolyte Taine)

إن Taine لا يهتم كثيرا بالشخصيات الفردية كما هو الحال عند Sainte-Beuve، بل يهتم بالمؤثرات التي يخضع لها كل إنسان، فغاية Taine البحث عن القوانين التي تتحكم في عملية الخلق الأدبي.

منهج Taine العلمي مبني على الجبرية déterminisme؛ فالفرد جزء من هذا الكون يؤثر ويتأثر بما يحيط به، فهناك -حسب Taine- ثلاث عناصر تؤثر في حياة الإنسان:

العرق / الجنس race والبيئة milieu والزمن moment

فالعرق أو الجنس هو مجموعة من الاستعدادات السيكولوجية الفطرية الوراثية. إن لكل قوم سمات ومميزات تميزه على الآخرين، فالأديب هو أثر من آثار الجنس البشري الذي ينتمي إليه، فهو يتأثر بالعادات والأخلاق السائدة في أمته

فلمعرفة الأديب لابد من معرفة القوم الذي ينتمي إليهم هذا الأديب

البيئة هي المحيط الذي ينشأ فيه الإنسان: (البادية/ المدينة، والمناخ...) وهي كذلك مجموعة من الظروف التي يخضع لها الإنسان: (الفقر/اليسر، والطبقة الاجتماعية؛ أرستوقراطية/عادية، وأسرة متعلمة/جاهلة، من وسط فني/عادية، أورطودوكسية/متفتحة...)

الزمن أو اللحظة الحضارية والتاريخية، وهي مجموع الأحداث التي يعيشها الإنسان في عصر معين.

إن البيئة التي تنشأ فيها الأديب وكذا العصر الذي ينتمي إليه يحددان ويؤثران بقوة في الأديب وإنتاجه . ولمعرفة حقة بالمبدع لابد من العودة إلى الظروف البيئية والتاريخية التي ساهمت في إنتاجه.

العمل الأدبي حسب Taine صورة لروح المؤلف ولعصره ولمجتمعه؛ حينما تكون وثيقة ثمينة ونحسن تفسيرها، نجد أثر للروح، وغالبا للعصر وأحيانا للجنس البشري.

منهج طين لا يفرق بين فن الرسم والخشب والأدب؛ فهو يهتم بالسببية فمن خلال الأدب والفن يعمل جاهدا على الوصول إلى المجتمع الذي كان السبب في إنتاج الأعمال أو جعلها ممكنة. ف Taine غير الفكر القائلة بأن العمل الفني وحي سماوي و أنه ليس مجال العلم ولا علاقة له بالحالة الاجتماعية أو الفلسفة السائدة.

كوستاف لانسون (Gustave Lanson)

ينتقد Gustave Lanson كلا من Sainte – Beuve و Taine فيأخذ على الأول إهماله العمل الدبي باهتمامه المفرط بالحياة الشخصية للأديب . و كذا انطباعه المفرطة كما يؤاخذ على Taine اعتماده الصارم على العلم الوضعي، لكن في الوقت نفسه الذي ينتقد انطباعية سانت بوف يحث على ضرورة استخدام الذوق في ممارسة النقد الأدبي، وفي الوقت الذي ينتقد علمية Taine يأخذ بما يسميه "روح العلم".

إن منهج Lanson يتأرجح بين الذاتي والموضوعي، فهو يأخذ بالوضعية و يحاول في نفس الوقت الخروج من قيودها الصارمة لبناء منهج تاريخي مرن.

يحدد Lanson منهجه بقوله :"فمنهجنا هو في صميمه: المنهج التاريخي "موضوع التاريخ هو الماضي، ماض لم يبق منه إلا أمارات أو أنقاض بواسطتها يعاد بعثه، و موضوعنا نحن أيضا هو الماضي و لكنه ماض باق، فالأدب من الماضي والحاضر معا".

ويميز بين المؤرخ والناقد الأدبي الذي يستعمل المادة التاريخية لدراسة الأعمال الإبداعية: "نحن في موقف مؤرخي الفن، مادتنا هي المؤلفات التي أمامنا والتي تؤثر في أول جمهور عرفها .... نحن و لا ريب نتناول كالمؤرخين كمية كبيرة من الوثائق محفوظة ومطبوعة ليست لها قيمة إلا كوثائق، ولكنها كوثائق نستخدمها للإحاطة بالمؤلفات الأدبية موضوع دراستنا المباشر ولإلقاء الضوء عليها".

يحاول مؤرخ الأدب أن يدرس "تاريخ النفس الإنسانية والحضارة القومية في مظاهرها الأدبية "فهو يسعى دائما إلى أن يصل إلى حركة الأفكار والحياة من خلال الأسلوب".

يلخص لانسون مجموع منطلقاته في بناء تصوره النقدي من خلال الفقرة التالية :

"إن عملياتنا الأساسية تتلخص في معرفة النصوص الأدبية ومقارنة بعضها ببعض لنميز الفردي من الجماعي والأصيل من التقليدي، وجمعها في أنواع ومدارس وحركات، ثم تحديد العلاقة بين هذه المجموعة، وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية في بلادنا بالنسبة لنمو الحضارات الأوروبية".

يركز لانسون في دراسته على المؤلفات الرائعة، فهو يميز بين نوعين من الأعمال؛ صنف موجه لجمهور غير مختص، و صنف موجه للنخبة المثقفة مكتوب بأسلوب جميل وصياغة فنية رائعة.

إن لاسنون رغم نقده للانطباعية فهو يهتم بالذوق الشخصي للناقد، لكن ألا يجعل الناقد من نفسه مسحورا وألا يجعل لمشاعره الخاصة وذوقه ومعتقداته قيمة مطلقة.

يعاب على Lanson ثقل الدم والجمل الطويلة ورفضه للتلخيص، وطريقته في عزل الظاهرة الأدبية ، ودوغمائية أحكامه الفنية.

II. النقد الاجتماعي

الأدب مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة، واللغة نتاج اجتماعي.

الأديب عضو في مجتمع، ومنغمس في وضع اجتماعي معين، وهو يخاطب جمهورا مهما كان مفترضا.

يهدف هذا المنهج إلى تحديد الانتماء الطبقي والأيديولوجي للمبدع، والكشف عن المضمون الاجتماعي في العمل الأدبي ومدى تأثيره في المجتمع، والكشف في العمل الأدبي عن «الرؤية للعالم» التي يعبر عنها الكاتب.

المراحل التي مر بها النقد الاجتماعي:

النقد الاجتماعي هو نتاج سيرورة متواصلة بدءا من القرن 18حيث تحررت الآداب الغربية من ربقة الوصاية البورجوازية، فقد أفضى هذا التحرر إلى خلق وعي بالبعد الاجتماعي.

وكان لتطور العلوم الطبيعية الأثر الكبير في تحول معظم دارسي الأدب ونقاده إلى الاستفادة من القوانين الصارمة للعلوم الطبيعية، وتطبيقها على الأدب. كما استفاد من الفكر الماركسي والهيكيلي.

لقد مر المنهج الاجتماعي بثلاث مراحل:

1) مرحلة التأسيس:

يمكن التمييز فيها بين ثلاثة أطوار:

أ) طور فيكو:

يعتبر عمل المفكر الإيطالي جامبا تيستا فيكو (Gamba Tista Vico) أول محاولة منظمة للربط بين الأدب والواقع الاجتماعي.

اهتم في كتابه «مبادئ العلم الجديد» بعنصر الزمان، وبالدورات التاريخية، معتبرا أن لكل حضارة دورة حياة كاملة.

وربط بين الأجناس الأدبية بالواقع الاجتماعي؛ فهو يرى أن الملاحم هيمنت في المجتمعات العشائرية، وأن الدراما مرتبطة بظهور المدينة/ الدولة.

ب) طور مدام دو ستائيل:

أضافت (Madame de Staël) عنصر البيئة؛ كل عمل –حسب ستائيل- يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية معينة، ويؤدي وظائف محددة بها.

تعد ستائيل من أبرز رواد المنهج الاجتماعي،

لقد حاولت في كتابها «الأدب في علاقته مع المؤسسة الاجتماعية» جمع الأدب والمجتمع في دراسة واحدة: «لقد عزمت على أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب، ومدى تأثر الدين والعادات والقوانين بالأدب»

ج) طور هيبوليت طين:

أضاف طين (Hippolyte Taine) عنصر العرق / الجنس

ليكون ثالوثه المشهور:

الزمن / البيئة / الجنس

2) **الواقعية الاشتراكية**:

تستند إلى الفكر الماركسي الذي يعتبر أن للحياة بنيتين: تحتية وفوقية.

البنية التحتية: تتمثل في الحياة المادية، وفي الوجود الفعلي للمجتمعات، وفي نظم العلاقات الاجتماعية وأنماط الحياة الاقتصادية من فلاحية وصناعية وغيرها...

البنية الفوقية: تضم النظم السياسية والدينية والثقافية، هذه النظم هي نتيجة الصراع بين الطبقات الاجتماعية.

العمل الأدبي ينتمي إلى البنية الفوقية ويرتبط بعلاقة جدلية بالبنية التحتية. إن الأديب لا يعبر عن موقف شخصي، بل يعبر عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها (وقد لا ينتمي إليها)، يعبر عن الموقف الأيديولوجي الذي يتبناه.

3) علم اجتماع الأدب (سوسيولوجيا الأدب):

ظهرت هذه الدراسة قبل منتصف القرن العشرين:

تنقسم هذه الدراسة إلى تيارين:

- السوسيولوجيا التجريبية (Empérique)
- السوسيولوجيا الجدلية/ التكوينية (Dialectique/ Génétique)

أ) **السوسيولوجيا التجريبية:**

يعتبر هذا التيار الأدب جزءا من الحركة الثقافية، فهو يدرس عناصر خارجة عن النص الأدبي، ويتوسل بمصطلحات منتقاة من حقل الاقتصاد والتجارة كالتمويل والإنتاج والنشر والتوزيع والتسويق والاستهلاك، ليكشف بذلك عن حركة الأدب في المجتمع، عن ومدى النجاح الذي حققه عمل ما، ومدى تأثيره في المجتمع.

يستفيد من التقنيات التحليلية التي انتظمت في مناهج الدراسات الاجتماعية؛ مثل الإحصائيات والبيانات وتحليل المعلومات.

2) **السوسيولوجيا الجدلية / التكوينية:**

يختلف التيار الجدلي عن التجريبي؛ فالتيار التجريبي يركز على الكم، فيما يركز التيار الجدلي على الكيفية التي يظهر عليها النص الأدبي.

يعتبر كل من :جورج لوكاتش (George Lukatc) ولوسيان كولدمان (Lucien Goldman) الشخصيتان البارزتان في الاتجاه الجدلي.

لوسيان كولدمان

انطلق كولدمان من مبادئ لوكاتش وطورها. يرى كولدمان أن العمل الأدبي ليس وعيا فرديا مستقلا بذاته، فهو لا يعبر عن رؤية شخصية، وإنما يعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة.

البنيوية التكوينية/ الجدلية تستند إلى البنيوية واللسانيات والفكر الماركسي، فقد أصبح لها «فهما خاصا لوضعية الأدب كنوع من أنواع الوعي الاجتماعي...ومنهجا لتحليل وتفسير الظاهرة الأدبية تطبيق المنهج الجدلي يقتضي احترام مبادئ الجدل التي لا تقبل الفصل، وهي:

-وحدة النظرية والتطبيق
وحدة الملاحظة والتقييمات
توحد الذات والموضوع

البنيوية التكوينية/ الجدلية تسعى إلى: دراسة النص من الداخل والكشف عن العلاقات بين بنية الإبداع الأدبي والبنية الفكرية للطبقات الاجتماعية ومعرفة أشكال التناظر بين البنيتين.

يتبع الدارس خطوتين: الفهم والتفسير

الفهم / التفسير

"الفهم هو تسليط الضوء على بنية دالة محايثة للموضوع المدروس، وبشكل دقيق لهذا الإنتاج الأدبي أو ذاك.

والتفسير ليس شيئا آخر سوى إدخال هذه البنية باعتبارها عنصرا بنائيا ووظيفيا، في بنية أشمل"

في الخطوة الأولى يتم التركيز على النص من الداخل، أي على الجوانب الفنية: «الفهم هو مسألة انسجام داخلي للنص تستلزم أخذ النص، كل النص بشكل حرفي، ولا شيء غير النص...»

منهج كولدمان لا ينزع نحو التجزيء باقتطاع فقرات من النص ومقارنتها بأجزاء أخرى مقتطفة من نص آخر، فهو يبحث عن بنية داخلية منسجمة، وذلك بإرجاع العمل إلى كليته، ودمج العمل الأدبي في مجموع حياة ومجموع

سلوك الذي هو سلوك جماعة اجتماعية، فهناك سلسلة من الكليات النسبية يترابط بعضها في شكل جدلي ولا يمكن أن يكون العمل الإبداعي هاما إلا إذا كان منسجما، والانسجام هو الرابط ذو الدلالة بين الأجزاء والكل.

يتميز العمل الأدبي ببنية دلالية كلية، قد تكون مماثلة لاتجاه في بنية الوعي الجمعي. هذا الوعي يتبلور ضمنيا في السلوك العام للأفراد الذين يشاركون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية؛ فأثناء قراءتنا لعمل أدبي ننحو إلى إقامة بنية دلالية كلية، هذه البنية دينامية؛ فهي تتعدل باستمرار كلما عبرنا من جزء إلى آخر في العمل الإبداعي، وعندما ننتهي من القراءة تتكون لنا صورة عن بنيته الدلالية الكلية، وهذه الصورة هي المقابل المفهومي والمقابل الفكري للوعي والضمير الاجتماعيين المتبلورين لدى الأديب.

كل عمل أدبي يتضمن «رؤية للعالم»؛ أي «مجموع التطلعات والعواطف والأفكار التي تجمع أعضاء جماعة، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية وتجعلهم على تضاد مع الجماعات الأخرى». كل سلوك بشري يحاول إعطاء جواب ذي معنى لوضعية خاصة، أما العمل الأدبي فيقدم «وجهة نظر متناسقة وموحدة حول مجموع الواقع».

ينطلق كولدمان من العمل الأدبي، فيعمل على تحديد الكيفية التي يتم بها الانتقال من الظاهرة الاجتماعية إلى الإنتاج الأدبي، ويقوم بتفكيك النص الأدبي وإضاءته رابطا البنية الجمالية للعمل الأدبي بالبنية الذهنية والفكرية التي تشكل الوعي الجمعي.

III. النقد الفلسفي

الأدب والالتزام

عند جان بول سارتر(Jean Paul Sartre)

الالتزام هو فعل أو سلوك المثقف أو الفنان الذي يعي انتماءه للمجتمع وللعالم ولعصره، و لا يظل في موقع المتفرج بل يسخر فكره أو فنة لخدمة قضية ما.

الالتزام في الأدب يطرح قضية وظيفة الأدب: ما هي وظيفة الأدب؟ و ما علاقة الأدب بالمجتمع؟

الالتزام رفض للتقوقع على الذات واتخاذ موقف المتفرج من القضايا والمشاكل التي يعاني منها المجتمع، وهو دعوة إلى الانغماس والغوص في هذه القضايا من أجل إيجاد حل لها ولتغيير الأحوال العامة والعقليات.

- يندرج فكر سارتر ضمن المذهب الوجودي.

الوجودية: تيار فلسفي و أدبي يرى أن الإنسان يخلق ماهيته بأفعاله، فهي تعتبر أن لكل فرد وجودا خاصا وأنه سيد أفعاله وقدره والقيم التي يدافع عنه .

بعض الموضوعات الأساسية في المذهب الوجودي :

الخوف والقنوط و اليأس والعبث والحرية والالتزام والعدم...

الوجود حسب سارتر سابق على الماهية؛ أي أن الإنسان يوجد أولا ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، ليس للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فهو يبدأ من الصفر، فهو لم يكن شيئا ولن يكون سوى ما قدره لنفسه، فالإنسان ليس إلا ما يصنعه هو.

إن الوعي عند سارتر هو الوجود بالذات، إنه فعل وممارسة وشعور فعلي، فالوجود هنا بمعنى الصيرورة / الخلق؛ أن توجد يعني أن تخلق وجودك الخاص بك.

وتعد الحرية قوام الفلسفة الوجودية، إنها مقرونة بروح المسؤولية والالتزام، فالإنسان مسؤول عن حريته، والحرية لا تتأتى إلا حين تصبح قادرة على أن تكون فاعلة ومؤثرة.

ينطلق سارتر في كتابته "ما الأدب"؟ من تحديد معنى الكتابة.

الكتابة عند سارتر بحث عن الحقيقة وإعراب عن المعاني، والبحث عن الحقيقة لا يتم إلا باستخدام اللغة أداة.

يميز سارتر بين الأدب والفنون الأخرى، فالأدب في نظره هو مجال الالتزام و ميدان المعاني؛ الرسم والنحت والموسيقى لا يمكن أن تكون ملتزمة كالأدب، فالمعاني لا ترسم و لا توضع في ألحان.

كما يميز بين الشعر والنثر، فبالرغم من كون الشعر يستعمل اللغة أداة إلا أنه يقصيه ويعده من باب الرسم والنحت والموسيقى. إن رسالة الكاتب هي الكشف عن المواقف، لأن الكشف نوع من التغيير، فإذا تكلم الكاتب فإنما يصوب قذائفه. اختار الكاتب لنفسه رسالة الكشف عن سر الإنسان لكي يتحمل الناس بعد ذلك كل تبعة تنجم عما يتخذون من مواقف،

إن الكاتب يكشف العالم وخاصة الإنسان بالنسبة لبقية الناس لكي يتخذ الآخرون وقد واجهوا الموضوع المعرى كامل المسؤولية.

ويرى سارتر ألا وجود لفن إلا بواسطة الآخرين ومن أجلهم، فالقارئ يعمق عملية الإدراك ويسهم في عملية الخلق الفني.

عملية الكتابة تتضمن عملية القراءة لازما منطقيا لها وهاتان العمليتان تستلزمان عاملين متميزين: الكاتب والقارئ، فتعاون المؤلف والقارئ هو الذي يخرج إلى الوجود هذا الأثر الفكري.

ويرى أن الكاتب لا يتوجه إلى قارئ عالمي، بل إلى قارئ في وطن خاص في موقف محدد.

IV. النقد النفسي

نعني بالنقد النفسي للأدب الدراسة التي تستنبط القوانين النفسية المتضمنة في الأعمال الأدبية، وكذا دراسة نفسية المبدع، والآثار التي يتركها الأدب على قرائه.

وقد تأسس هذا النقد على خلفية المعرفة بخبايا الجهاز النفسي، وهي معرفة إكلينيكية مبنية على ملاحظة سلوك الشخصية المصابة باضطرابات نفسية، وعلى تحليل أقوالها، وتفسير أحلامها.

إن علماء النفس الأوائل أمثال (سيغموند فرويد (Freud Sigmond) ويوسف برويز (Joseph Brewer) لم يهتموا بالنقد الأدبي باعتباره علما قائما بذاته، لأن همهم الأول كان منصبا على الغوص في لاشعور النفس البشرية وتحليلها قصد معالجة المرضى، أما الاهتمام بالأدب فقد تم بعد اكتشاف علاقة التماثل التي تجمع بين الأدب و"الحلم".

قبل الحديث عن النقد النفسي لابد من تقديم موجز عن علم النفس وخاصة عند فرويد.

1) التحليل النفسي عند سيغموند فرويد:

يعترف فرويد بأسبقية أستاذه برويز إلى وضع اللبنات الأولى لهذا العلم؛ فقد اهتم هذا الأخير بمعالجة المرضى بالهيستريا، لكن فريود سيختلف مع أستاذه في طريقة العلاج؛ فإذا كان برويز يعتمد على "التنويم العميق((l'hypnose"، فإن تلميذه (فرويد) سيكتشف طريقة أخرى للعلاج تتمثل في التركيز على

"الأحلام"، لأن طريقة أستاذه لا تؤدي إلى نتائج يقينية، كما لا يمكن تنويم جميع المرضى.

وبالإضافة إلى تغييره لطريقة العلاج، غير فرويد كذلك الفكرة التي تعتبر الهوية الفردية البشرية متماسكة، بنظرة جديدة ترى أن هذه الهوية مركبة من خانات نفسية متعارضة، مميزا فيها بين :

-الهو: الممثل للغرائز

-الأنا الأعلى: الجامع لكل القيم الاجتماعية والثقافية

-الأنا: مجرد توافق بين الغرائز والقيم المستجيبة لمبدأ الواقع.

إن كل إنسان -حسب فرويد- يحس في قرار نفسه برغبة ما، لكن هذه الرغبة تتعارض مع محيطه الخارجي (الأسرة/ الأعراف/ الدين...) الذي يحول دون تمكنه من تحقيق رغبته، فيحصل صراع داخلي بين الأنا والقيم السائدة المعارضة لرغبته، فيتم كبت تلك الرغبة وإبعادها خارج الشعور ونسيانها. يترك الصراع الداخلي بين الأنا ومحيطها أثرا نفسيا بالغا، إلا أن الإنسان يمتلك آلية تدعى "الإبعاد" تحول دون إصابته بمرض نفسي، وأثناء الحلم تبرز تلك الرغبة من جديد، فالحلم "إنجاز متنكر للرغبات".

الخطوات المنهجية التي يتبعها فرويد في دراسة الأحلام:

يركز فرويد على "المحكي" أي على "القصة" التي يحكيها "الحالم" بعد استيقاظه، لأن الحلم هو الطريق الذي يقود إلى "اللاوعي". يقوم فرويد بعملية "تأويل" المحكي، موليا اهتماما خاصا "للهفوات" و"الفلتات اللسانية " التي يرتكبها الراوي أثناء عملية الحكي.

إن التحليل النفسي عند فرويد لم يقتصر على مجال الأمراض النفسية بل امتد إلى ميادين معرفية أخرى كالفن والفلسفة والدين. ويرجع اهتمام فرويد بالفن عموما وبالأدب على وجه الخصوص إلى طبيعة القضية التي يعبر عنها كل من "الفن" و"الحلم"، فالفن هو المجال الوحيد -حسب فرويد- الذي تصان فيه كل قوة الأفكار إلى يومنا هذا؛ ففي الفن فقط يحدث للإنسان المعذب برغباته أن يحقق شيئا شبيها ب"الإشباع"، فبفضل "الوهم الفني" تولد هذه اللعبة الآثار الانفعالية نفسها كأن

الأمر يتعلق بشيء من الواقع، فإبداعات الأديب هي تلبية خيالية لرغبات لاشعورية مثلها مثل الأحلام.

إن فعل الكتابة سلوك، والإبداع الأدبي هو حصيلة سبب سيكولوجي، فهو يحتوي على "مضمون ظاهر" و"مضمون مستتر" كالحلم تماما، إنه إضفاء للحياة النفسية للمؤلف ولدوافع غالبا ما تكون بعيدة عن أن يعيها حين يكتب.

يعتبر العديد من النقاد و دارسي أعمال فرويد بأنه استعمل في معظم دراساته، الإنتاج الأدبي أداة للتنقيب في أعماق المؤلف السيكولوجية؛ لأن هدفه هو تحليل المصابين بالعصاب بواسطة الأثر، بيد أن دراسته لرواية ‘‘غراديفا’’ لولهيلم جونسون (Wilhelm Jenson) تشكل استثناء؛ ففي هذه الدراسة وضع فرويد أسس منهج نقدي للرواية يعتمد على نظرية متكاملة في التحليل النفسي، فدراسته للرواية المذكورة تعتبر تحليلا أدبيا دقيقا يبتدئ بالنص وينتهي إليه، وليس فيها إطلاقا انتقال إلى دراسة شخصية الكاتب، وإذا كانت تحتوي على تحليل نفسي علاجي فهي تقوم بذلك في نطاق الحالة المرضية التي تعانيها الشخصية الروائية وليس شخص الكاتب.

المنهج النقدي الفرويدي لا يهمل البناء الداخلي للنص الأدبي، ذلك أن العمل الإبداعي يشكل أحد المستويات الثلاثة التي اهتم فرويد بدراستها و هي: المبدع والعمل الإبداعي في ذاته والقارئ.

وإذا كانت دراسة فرويد لرواية "غراديفا" تشكل استثناء، فإن المنهج الفرويدي ينطلق في الغالب من النص ليكتشف فيه خبايا لاشعور المبدع، فمن خلال دراسته للشخوص المتخيلة كما هو الحال في دراسته لرواية (Dostovsky) يعزي الصراعات بين الشخوص إلى الصراع الداخلي الذي يعتري نفسية الكاتب نفسه.

يشكل الإبداع عملية "تطهيرية" تحرر المبدع والقارئ في آن من بعض التوترات الناتجة عن عملية كبت الرغبات، فإذا كانت الكتابة تحقق "الإشباع" لدى الكاتب، فإن الإحساس باللذة والمتعة أثناء القراءة يحرر القارئ من الرقابة الخارجية، فالشاعر مثلا يضعنا في حالة الاستمتاع باستهاماتنا الخاصة دون أي شيء من ألوان اللوم أو الخجل.

2) النقد النفسي عند شارل مورون(Charles Maurron)

يعتبر مورون أول من جعل التحليل النفسي خاضعا للنقد الأدبي، وهو يقدم عدة انتقادات لفرويد، نذكر منها:

-إهمال النص الأدبي؛ لأن غاية فرويد علاجية وليست نقدية، ف(فرويد) يضع الغاية العلاجية نصب عينيه أثناء تعامله مع النصوص الأدبية.

-التركيز على التداعيات النفسية الحرة التي تعد أحد أسس المعالجة بالتحليل النفسي؛ أي التذكر باستمرار حدث أو أحداث جرت في ماضي الشخص،

-فهو يربط بين العمل الإبداعي وحدث وقع في الماضي (إن هذا الكاتب ما كان ليكتب لولا هذا الحدث...

يعد شارل مورون ناقدا أدبيا وليس محللا نفسيا، فهو:

يركز على النص الأدبي مستعملا آليات التحليل النفسي، وهو يقتصر على تحليل النص تحليلا شكليا ولغويا، رابطا بين جوانب النفس اللاشعورية من جهة وبين اللغة الفنية من جهة أخرى، فهو يعتمد على دراسة دقيقة للعمل الإبداعي وعلى المعطيات الحياتية ليبني من جديد المركبات الأساسية الباطنية.

الخطوات المنهجية التي يتبعها مورون في دراسته للأعمال الأدبية

يحددها عنوان كتابه:

"من المجازات الملحاحة إلى الأسطورة الشخصية"

«Des métaphores obsédantes aux mythes personnels»

يركز على "تراكب النصوص" (superposition)؛ فهو يستهل العملية النقدية بفرز النصوص المختلفة لمبدع ما، ويوزعها في طبقات.

يكشف عن كيفية "تسلط" بعض الصور وتنوعها؛ أي الصور التي "تتكرر" في النصوص المختلفة للمبدع، سواء تعلق الأمر بمجازات أو صور أسطورية وخرافية أو شخوص أو مواقف وحالات.

يبرز "شبكة الصور الملحاحة" التي تشكل "بنيات نصية".

يكشف عن "أسطورة الكاتب الشخصية": هذه "الصور المتسلطة" الغير إرادية تغدو معها النصوص أصداء بعضها لبعض، وتبدو راسمة بنية مشتركة، يسميها مورون "أسطورة الكاتب الشخصية"، ويؤولها على أنها تعبر عن شخصيته اللاشعورية.

يراقب النتائج المحصل عليها من خلال مقارنتها بحياة المبدع؛ أي أن النتائج المحصلة من خلال دراسة العمل الأدبي تتم مقارنتها بحياة الكاتب، بمعنى أن النتائج المكتسبة بواسطة تراكب النصوص ودراسة الأسطورة الشخصية وتنوعاتها ستراقب بالمقارنة مع حياة الكاتب؛ ففي دراسته لأعمال الشاعر الفرنسي (Charles Beaudelaire) يقيم مورون تراكبا بين بعض قصائد الشاعر ويقربها من "حلم" كان قد أفضى به الشاعر في "رسالة" إلى أحد أصدقائه، ففي كل هذه القصائد يتكرر معنى "الثقل"، كذلك يستشف من "الحلم" الذي حكاه لصديقه في الرسالة المذكورة ، أن موضوع "الثقل" أساسي في الحلم.

وبناء على تكرار موضوع "الثقل" في كل من "القصائد" و"الحلم" الذي أفضى به الشاعر في الرسالة يفسر مورون هذا الثقل بهاجس "ثقل القدر" الذي يؤرق الشاعر.

إن مورون يبحث عن البنيات المرتبطة بلاشعور المبدع، فمن الناحية المنهجية يشكل النقد النفسي عنده دراسة بنيوية، ذلك أن أساس الدلالة في النقد ليس الكلمة أو شيء أو صورة مجازية تتكرر، وإنما أساسها شبكة؛ أي نسق ونظام من العلاقات بين الكلمات والصور.

لائحة المراجع:

- إسكاربيت روبير: سوسيولوجيا الأدب، ت. أمال أونطوان عرموني، لبنان، 1999.
- الماضي شكري عزيز: في نظرية الأدب، لبنان، 1982.
- جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب، ت. حسن المودن، مصر، 1997.

- حجازي سمير سعد: نظريات في تفسير الأدب، مصر، 2001.
النقد الأدبي المعاصر، قضاياه واتجاهاته، مصر، 2001.
- سارتر جان بول: ما الأدب؟، مصر، 2000.
- غولدمان لوسيان: العلوم الإنسانية والفلسفة، ت. محمد العدلوني الإدريسي ويوسف عبد المنعم، المغرب، 2001 .
- فرويد سيكموند: تفسير الأحلام، ت. مصطفى صفوان، مصر، 1969
- فضل صلاح: مناهج النقد المعاصر، مصر، 2002.
- كاباناس جان لويز: النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، ت. فهد عكام.
- لحميداني حميد: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، المغرب، 2009.
- النقد النفسي المعاصر، تطبيقاته في مجال السرد، المغرب، 1991.
- ويليك وينيه ووارين أوستين: نظرية الأدب، لبنان، 1987.